مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 18 العدد: 02 السنة 2026 ص 132 - 153

تاريخ الإرسال: 2024/10/30 تاريخ القبول: 2026/10/21
تاريخ النشر: 2026/11/16

التجريب الشعري عند الشاعر عاشور فني من خلال قصيدة الهايكو
The Haiku Experience of the Poet Achour Feni

د. زينب نسارك
جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)، zineb.nessark@univ-bejaia.dz

الملخص:

تعددت الأنماط الشعرية الوافدة إلى الشعر الجزائري المعاصر، بفعل الانفتاح على الثقافات والآداب الأخرى، والذي جاء كنتيجة حتمية لصدمة الحداثة، وما تضمنته من تحولات جذرية في الأنماط الشعرية السائدة، وهو ما فسح المجال لظهور الهايكو كنمط شعري وافد من اليابان تأثرت به القصيدة الجزائرية التي عرفت أطر إبداع جديدة؛ إن على مستوى الشكل أو مستوى المضمون، وكانت قصيدة الهايكو أفقا جديدا للقصيدة الجزائرية، والتي تجلت لدى كثير من الشعراء وخاصة الشاعر عاشور الفني؛ وهذا في مجموعة من دواوينه منها: "رجل من غبار"، و"الربيع الذي جاء قبل الأوان"، و"هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي"، إذ خاض الشاعر مغامرة شعرية جديدة حاول من خلالها الغوص في أعماق الذات الإنسانية بكل ما تحمله من آلام وآمال، ولهذا سنحاول البحث في أهم سمات قصيدة الهايكو عند الشاعر عاشور فني.

الكلمات المفتاحية: قصيدة هايكو؛ عاشور فني؛ بناء مشهدي؛ طبيعة؛ دهشة.

Abstract:

The contemporary Algerian poem has known new creative frameworks; At the level of form or level of content, the haiku

المؤلف المرسل: زينب نسارك، الإيميل: ZINEB.NESSARK@UNIV-BEJAIA.DZ

poem was a new horizon for the Algerian poem, which was more evident in Achour's artistic poems, especially in his collections "A Man of Dust" and "The Spring That Came Before Its Time"; We meet" The poet embarked on a new poetic adventure in which he tried to dive into the depths of the human self with all the pains and pains it bears, and for this we will try to research the most important features of the haiku poem by the poet Achour Feni.
Keywords: Haiku; achour feni; scenic construction; nature; astonishment**.**

1. مقدمة:

عرفت الساحة الشعرية العربية ظهور قصيدة الهايكو، وهو النوع الشعري الناتج عن التلاقح بين الثقافة اليابانية والثقافة العربية والذي يحمل خصوصيات وجماليات شعرية مميزة، وقد أضحى يستقطب عددا هائلا من الأصوات والتجارب الشعرية التي حاولت تخطي خصوصية النص الشعري العربي المنفرد بالمطولات والقوافي، فما المقصود بالهايكو؟ وما هي أهم خصائصه الشعرية؟ وكيف تجلى على الساحة الشعرية العربية والجزائرية على وجه الخصوص؟ ولهذا فالبحث يسعى إلى كشف أهم ملامح قصيدة الهايكو الجزائرية، ومدى استجابتها للآليات والقواعد التي يقوم عليها الهايكو الياباني، ثم البحث في الإضافة التي قدمها الهايكو الجزائري إلى تجربة الشعر الجزائرية، مع التركيز على الشاعر عاشور فني من خلال ما ظهر في دواوينه الشعرية من خصائص هايكوية كالبناء المشهدي واستحضار الطبيعة والبساطة والإيجاز والتركيز.

2. مفهوم الهايكو:

تعني كلمة هايكو في اليابانية طفل الرماد، كما ورد في كتاب الهايكو الياباني "**أصل كلمة هايكو التي تعني باليابانية طفل الرماد**"[1] ويوحي هذا التعبير إلى ولادة

الحياة من قلب الموت؛ بمعنى ولادة لحياة جديدة واستمرارها رغم الفناء والتلاشي، فالهايكو في أصله هو ميلاد مستمر وبحث عن حياة جديدة، ولعلّ أبسط تعريف للهايكو أنه "**قصيدة تتشكل في مجموعها من سبعة عشر مقطعا لفظيا وتنطوي على صور من الطبيعة أو انطباعات حولها مع كل ما تتضمنه من طقوس وعادات وكائنات حية**"[2]، فالحياة في شعر الهايكو مرتبطة بالطبيعة وكل ما تحمله من عادات تصنع الاستمرارية وتبحث دوما عن الطبيعة التي هي أصل جميع الكائنات الحية التي تصارع دوما من أجل البقاء، بدءا من أصغر كائن على وجه الأرض.

وشعر الهايكو "يتألف من مقطعين: الأول "**هاي**" ومن معانيه الأوّلية التي وضع لأجلها المتعة والإمتاع، الضحك والإضحاك، أي تغير مظهرك الخارجي وتسلّي الآخرين، التمثيل الثاني "**كو**" ومعناه لفظة أو كلمة أو عبارة، وإذا ترجمنا حرفيا "**عبارة أو كلمة متعة، مسلّية، مضحكة**" **ثم إذا أخذنا تطوّر دلالة اللفظة التاريخي، وانحرافها هنا وهناك، والحالات التي سلكها سنصل إلى ما يمكن أن نسمّيه حسّ الطرافة بشكل جدّي، المزاجية الطريفة، العبثية المسلّية**"[3]. فالهايكو يحمل في معانيه كثيرا من المتعة والطرافة إضافة إلى الجدّية، ودلالته تقترن فيها الطرافة وروح الدعابة مع الجدّ، فلا يمكن فصل الهايكو عن المعاني البسيطة والساخرة والتي تسعى إلى الجدّ رغم طرافة التعابير وبساطتها وقربها إلى الواقع الذي يبدو ساذجا عند الكثيرين الذين لا يبحثون عن الحقيقة في معناها البعيد ولا يغوصون في عمق العبارة وحكمتها.

كما "تجد معظم المعاجم الأدبية تعرف الهايكو بأنه شكل شعري ياباني يتكوّن من سبعة عشر مقطعا موزعة على ثلاثة أبيات بواقع خمسة مقاطع، فسبعة، فخمسة، على التوالي"[4]. فالبنية العروضية للهايكو مختلفة عن بنيات الشعر الأخرى، إذ تقوم القصيدة العربية على وحدة الوزن ووحدة القافية، بمعنى يجب أن

تكون القصيدة – مهما يكن عدد أبياتها– قائمة على وزن واحد من جهة التفعيلات؛ التي تنتمي إلى بحر معين، نظم الشاعر عليه قصيدته، وهي في الغالب ما زادت على سبعة أبيات، وقد تطول فتتعدى المائة بيت وهذا بحسب طول نفَس الشاعر وكذلك الموضوع الذي يتناوله، فالقصر والجزالة والتكثيف هو ما يميز قصيدة الهايكو اليابانية.

ولقد "**تحدث رولان بارت عن الهايكو في كتابه (إمبراطورية العلامات) رابطا إياه بالاحتفال الروحي فقال: أن نتحدّث عن الهايكو يعني تكراره بصفة أكثر دقة فالهايكو يشبه حفلا دينيا أو روحيا مفاجئا. إنه عملية إظهار مفاجئة للأشياء كما تجلّت لنا، عملية إظهار مفاجئ للواقع الذي يبرز عاريا من أي ظهور ولا يمكن اختصاره في أي تعليق**"[5]، فبارط يقصد بالاحتفال الروحي درجة السمو الروحي التي بلغها شاعر الهايكو ليعبر عن واقع معين، مشبها إياه بحفل ديني أو روحي مفاجئ، لأن شاعر الهايكو يسمو بروحه ويحلق بها بعيدا من أجل أن يعبّر عن واقعه اليومي ويغوص في تفاصيله الصغيرة التي قد لا ينتبه إليها الإنسان العادي باستثناء شاعر الهايكو الذي تتعانق روحه مع روح البساطة اليومية، فروح شاعر الهايكو روح خفيفة تعلو نسماتها عاليا كي تعانق أجواء العلم الرحبة وتغوص في تفاصيله الدقيقة التي يعجز غيرها عن ذلك، فالهايكو في أصله يقوم على التأمل كوسيلة وحيدة للوصول المعرفة وبلوغ الإثارة التي من دونها لن يكون له تأثير وتشويق.

وتصف الناقدة والشاعرة العراقية بشرى البستاني الهايكو بلحظة زمنية جمالية يخوضها الشاعر بوعي وفهم دقيق، ويترجمها في قصيدة موجزة معبرا عن أشياء مألوفة بطريقة مخالفة، فتقول "**الهايكو لحظة جمالية لا زمنية في قصيدة مصغرة موجزة ومكثفة تحفز المخيلة على البحث عن دلالاتها وتعبر عن المألوف بشكل**

غير مألوف"[6]. فالهايكو هو اختصار للحظات زمنية في لحظة واحدة، تكون موجزة ومركّزة، لأنّها ستغوص في عمق اللحظة وتحاول البحث في أهم تفاصيلها كي تقع عين الشاعر أخيرا على تفصيلها الدقيق الذي يراه الآخر عاديا ومألوفا بينما ينظر إليه الشاعر بحاسته السادسة التي يعبر بها عن المألوف بشكل غير مألوف عن طريق التأمل العميق الذي يقود إلى الحقائق الأخرى.

وقد برز شعر الهايكو متأثرا بفلسفة الزن البوذية التي تتحمل الصبغة الدينية معتقدة أن بوذا هو ابن الله، فالبوذية القديمة تقوم على صبغة أخلاقية بينما البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.

وشعر الهايكو ويطلق عليه البعض الهايكنو وهو أسلوب من الشعر برز في اليابان ويعتمد على فلسفة الزن التي تعني لغويا التأمل العميق للوصول إلى المعرفة، التي هي أساس ما يبحث عنه الشاعر، ويؤكد إمكانية تحقيق وجهة نظر جديدة تتخذ من خلالها الحياة منظرا أكثر حيوية وأكثر عمقا كما أنها ترى الشيء عاريا مجردا من أجل تحقيق النفس والولوج إلى جوهر الأشياء، فقد تأثر شعر الهايكو الياباني بهذه الفلسفة ولهذا اختلف عن شعر الهايكو العربي ويعود ذلك إلى كون شعراء الهايكو الياباني "**تعاملوا متأثرين بديانة الزن مع اللغة بشكل كهنوتي وهم يحاورون الفصول ومكونات الطبيعة**"[7]، فشاعر الهايكو يعتمد على التأمل والتماهي مع الطبيعة للوصول إلى حالة السموّ الروحي أو حالة الاستنارة التي تمتزج فيها روحه مع الطبيعة والعالم الخارجي أو مع الكون والحياة، فالطبيعة هي روح شاعر الهايكو، لأنه يتماهى معها ويمزج روحه مع روحها في حالة من التماهي والذوبان، فيصغي إليها في كل تفاصيلها الدقيقة وما تحمله من حياة قد يعجز غيره من ملاحظتها وكشف مكنوناتها. فشاعر الهايكو يملك إحساسا عظيما بدقائق التراكيب داخل الصور، فهو ممارس جيّد للتأمل، كما تتحسّس روحه مواطن الجمال في الطبيعة في

فصولها المختلفة يحاكيها بتفاصيلها الدقيقة وأجوائها وتقلباتها، فكل عنصر في الطبيعة هو محل تأمل واهتمام وهو لوحة فنية يتفنن الشاعر في تفاصيلها التي يراها غيره دون أهمية، ولهذا يعتبر فن الهايكو لوحة فنية، فكما يعبّر الفنان بفرشاته يستعين الشاعر أيضا بكلماته للتعبير عن مكنوناته، فالعلاقة بين شعر الهايكو وفن الرسم هي بتصوير الشيء دون التعبير عنه، لأن قصيدة الهايكو لا تحتوي على استنتاجات ولا تعليقات.

وقد تطور شعر الهايكو في العصر الحديث وأصبح أكثر تحررا من القيود، كما تحرّر من فلسفة الزن ليوغل في الأبعاد الجمالية والرمزية، إلّا أنّه حافظ على سمتين رئيسيتين وهي: القصر وعدد المقاطع، ووجود عنصر الطبيعة في القصيدة والتي لا يستطيع الشاعر الاستغناء عنها.

3. الخصائص الفنية لشعر الهايكو:

شعر الهايكو بسيط يحاكي الطبيعة ويعبر عن مشاعر الإنسان ولواعج روحه، بلغة بسيطة بعيدة عن الصعوبة والتعقيد ليكون مرآة تعكس بكل صدق ووضوح عوالم الإنسان الداخلية، فهو شعر يختلف عن كثير من أنواع الشعر الأخرى، فهو متفرد بشكل كبير ويحمل الكثير من الخصائص والملامح التي نوجزها فيما يلي:

1.3 البناء المشهدي: وهو من أهم الشروط الخاصة بالهايكو فكلما أمسك الشاعر بإحكام بالبناء المشهدي أصبح بإمكانه إخراج التجربة الشعرية للنور والخروج بنصوص محكمة وأكثر إبداعا، مما يعطي الفرصة للمتلقي للتفكير والتأمل، فهو ليس عملية وصف مجردة إنما عملية إنتاج معاني عميقة عن طريق التدبّر واستخدام البصيرة، وتتمثل "**ميزته الأساسية أنه قول لحظة بلحظة في زمان ومكان محدّدين كما أنّه تعبير عن الحياة السريعة الزوال**"[8]، وتسعى هذه الميزة لتمرير رسالة أو

خطاب شعري موجز ومكثف وعلى القارئ أن يتحسّس هذا العالم بشفافية عالية وذائقة مختلفة، فنجاح الهايكو مقرون بنجاح العملية التواصلية بين الشاعر والقارئ، هذا الأخير عليه أن يتحسس بتمعن لعالم الشاعر الذي ينقل تفاصيله في ثنايا خطابه الشعري دون إهمال لأدق تفاصيله، إنه شبيه بالمصور الفوتوغرافي الذي يجوب الشوارع متحررا من ضيق الحيز المغلق إلى الفضاء العام الذي يضج بالحركة والإيقاع السريع، فيمنح لنفسه فرصة أسر اللحظات الحاسمة والحميمة للإنسان والمكان بكل تفاصيله الصغيرة التي قد تغفل عليها عيون المارة، فتقع عدسته تماما كما يقع إحساس شاعر الهايكو على اللحظات الحميمة في العوالم الصغيرة المحيطة به، والتي تصنع مشاهِد بصرية بكلمات بسيطة ولغة يومية بعيدة عن التكلّف لأنها تعتمد على البساطة كميزة أساسية لها.

وشعر "**الهايكو ليس شعرا عاديا مثل أي شعر يعتمد على الخيال فقط، ولكنّه بالإضافة إلى إيجازه فإنّه يتميّز بشدّة تكثيفه وبعد إيحاءاته، لأنّه يجمع بين صورتين متضادتين تماما**"[9]، فالتضاد من بين السمات الأساسية للهايكو فهو لا يؤكد المعنى إنما يوضحه ويبيّنه، إضافة إلى الإيجاز والتكثيف. فالهايكو نص مضغوط قد يبدو للوهلة الأولى، تعبيرا بسيطا عن نسمة هواء منعش أو صوت تساقط ورقة صفراء في يوم خريفي غائم وبارد أو أثر حلزون على طريق مبتلّ، لكنّه سرعان ما يتّفتّق بفعل القراءة المتأنّية عن كون شعريّ لا متناه في مشهديّته، فالبناء المشهي خاصية أساسية ومحورية في شعر الهايكو، إذ يستعرض الشاعر مشهدا معيّنا قد يكون بسيطا ولكن يحمل كثيرا من الرموز والدلالات، لأنّه يعطي حياة جديدة لشيء يراه الإنسان العادي بسيطا ولا يستحق التأمّل ولكنه عند شاعر الهايكو مشهد متكامل ينبض بالحياة، لأنه يستنطق الجماد ويبث فيه روحا جديدة.

2.3 بساطة الألفاظ: يعبر شاعر الهايكو عن مكنوناته الداخلية وما يعتريه من أحاسيس عن طريق ألفاظ بسيطة بعيدة عن الصعوبة والتعقيد، ووصف الحدث أو المنظر بعفوية ومن دون تدبّر أو تفكير إذ تعدّ بساطة اللغة وتراكيبها من أهم سمات شعر الهايكو، فهو يجسد فلسفة البساطة والشاعرية وتصوير اللحظة انعكاسا لفلسفة التأمل. فـ "**الهايكو، هذا الشكل الشعري الموجز، أقرب إلى الواقع، لا يحلق بك في آفاق الخيال كما يفعل بقية الشعر، وإنما يلصقك بواقعك عن طريق لقطة سريعة، أو إشارة خاطفة** "[10]. فشعر الهايكو عبارة عن كليشيهات مباشرة قد لا يفكر المصور في خلفيات الصورة ولا في قانون الظل والنور بقدر اهتمامه بتسجيل اللقطة الحاسمة، إنه يترجم الواقع كما هو دون الحاجة إلى التحليق في عالم الخيال، لأنه يصور المشاهد المعتادة ويبث فيها روحا جديدة تغيّر نظرة الآخرين إليها، فالمشهد المعتاد يراه شاعر الهايكو غير مألوف لأن زاوية نظره مختلفة عن زوايا نظر الآخرين، وتمنح القارئ فرصة جديدة للتأمل في حيوية الصورة وعفويتها والتي سيصبح لها فلسفتها الجديدة التي تغير القناعات القديمة لديه، فالموقف العادي واليومي الذي يمرّ أمامنا دون إشارة أو حدث يصبح عند شاعر الهايكو في صورة أخرى تبهر في أحيان كثيرة، لأنه يعطي للمواقف المألوفة والعادية صورة أخرى تغيّر من قناعات القارئ وتكسبه خبرة جديدة ومختلفة لأنها تكون مملوءة بالحيوية.

3.3 الدهشة: يعمد شعراء الهايكو إلى تكثيف الصورة لإيصال أكبر قدر من الدهشة بأقل الكلمات، عن طريق اقتصاد اللغة وبناء صورة مكثفة، فالدهشة عنصر أساسي في شعر الهايكو لما تحمله من تكثيف واختزال وعمق دلالي، وهي تتجسّد في قصيدة الهايكو كونها لحظة شعورية يثيرها مشهد نراه أمامنا، فيأتي الهايكو ليكون ربطا بين المحسوس والمعنوي ليدهش ويفاجئ، ويبهر ويعمق الأثر لدى المستمع، إذ لا تحدث الدهشة دون عنصر المفاجأة الذي ينطلق أساسا من بساطة

المشهد، كتصوير سقوط ورقة من الشجرة أو الإنصات لصدى قطرات الماء فوق بركة ماء صغيرة.

4.3 استحضار الطبيعة: يلجأ شاعر الهايكو إلى استحضار الطبيعة، ومحادثتها تعبيرا عن مشاعره، مما يزيد من حيوية الفن وقدرته على التأثير، حيث يصغي الشاعر بتمعن إلى أدق اللحظات التي تبهره بها الطبيعة، تلك اللحظات التي يستحوذ فيها على حدسه، فيكون كله للطبيعة كما تكون الطبيعة كلها للشاعر لأنه يمنحها حياة مختلفة يبثها في التفاصيل الصغيرة التي يعجز غيره عن ملاحظتها، فيحصل على ما لم يستطع غيره الحصول عليه وهو محادثتها والذوبان في تفاصيلها، فهو يستمع إلى همسة حشرة فوق الورقة أو صوت سمكة صغيرة في جدول الماء. فشاعر الهايكو يظهر أركان الطبيعة ومشاهدها ولهذا "**فكل قصيدة هايكو تحتوي على كلمة فصلية –كيغو– لكي تدل على الفصل الذي كتبت عنه القصيدة، أو إشارة إلى عالم الطبيعة، ولهذا السبب ترتب قواميس الهايكو حسب فصول السنة**"[11]. فمواسم الطبيعة تشكّل تيمة متلازمة لشعر الهايكو ويدفع بالقارئ لتجربة مغامرة جمالية، فهو يخاطب الوجدان في أي مكان ويبحث عن كل الطرق التي تجعله منسجما مع الطبيعة ومتداخلا مع كلّ تفاصيلها الدقيقة، يدعو من خلالها الإنسان إلى الانسجام مع الطبيعة والحياة معها بشكل تكاملي، والتعمق في تفاصيل الحياة اليومية التي تمنحه فرصة الانفتاح على ذاته والإنصات لها.

فالقصيدة الهايكوية تلتقط المشاهد من الطبيعة التقاطا خاطفا، فتبدو الموجودات بصورة مغايرة للمألوف، ويصبح الإنسان جزءا من الطبيعة، فقصيدة الهايكو تعتمد على "**الإيجاز في وصف الأشياء والوقائع وهو ما يحقّق نجاحا في التعبير الأدبي والتصويري واختصار الكثير من القول الزائد عن اللزوم**"[12]،لأنها تقوم على الإيحاء والتكثيف والإيجاز، ونظرا لكون هذا الأخير من وسائل التفخيم

والإعظام لما فيه من الإيهام يعتمد عليه الشاعر لوصف الأشياء التي لا تتناهى ولا تفي الكلمات بوصفها فتضيق الألفاظ عن التعبير عنها، ولهذا فالاختصار أو الاقتصاد اللفظي هو نتيجة لضيق المقام فيلجأ الشاعر إلى وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، وهذا من أجل إثارة العقل وتحريك الذهن وإمتاع النفس، فقارئ الهايكو عليه أن يبحث عن المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة التي قد لا تزيد عن ثلاث كلمات، لأن "**الوسيلة الفنية الأساسية للهايكو هو أنّ القصيدة تلمّح ولا تفصح، توحي ولا تعبّر، وتصوّر الأمور بشكل أضعف أو أقلّ ممّا هو شائع، وتعبّر عن الكثير من خلال القليل، دون ذكرها**"[13]، فالإيجاز والدقة في التصوير من أهم خصائص الهايكو، الذي يقوم على أداء المقصود بأقل من العبارة المألوفة، أو إعطاء المعنى الكثير باللفظ القليل، مما يدل على فصاحة الشاعر وترجمته لمعاني كثيرة ودلالات مختلفة ولكن بالاختصار اللفظي وهو ما يؤدي إلى إثارة العقل وتحريك الذهن، وإمتاع النفس، فما يقوم به شاعر الهايكو هو الاقتصاد اللفظي والتعبير عن الأفكار بإيجاز دون التضحية بالمعنى مع ضمان استيعابه بسرعة وفعالية، عن طريق تحفيز المخيلة إلى البحث عن دلالاتها الكثيرة في الكلمات الموجزة والمكثفة.

فالهايكو يعتمد على التكثيف الدلالي والايجاز، كما يعتمد على فلسفة جوهرية تسعى إلى النقاء الروحي الذي يجعل الشاعر يرتقي إلى درجة التأمل والتفكير، والوقوف عند الأشياء ومفردات الطبيعة والظواهر المادية لجعلها إشارة لدلائل أكبر، إنها فلسفة الروح والحكمة والسلام، ويقرّ أصحابها أنها ثقافة أرضية نابعة عن حاجات واجتهادات إنسانية تدعو إلى النقاء الروحي، الذي ينبت على أساس التّأمل العميق والتفكير في أسرار الحياة والكون. إنّه عملية إظهار مفاجئ للواقع الذي يبرز

عاريا من أي ظهور ولا يمكن اختصاره في أي تعليق، فهو يغوص في التفاصيل البسيطة للواقع ويجل منها احتفالا بعالمها الصغير.

4. شعراء الهايكو العرب:

تأثر مجموعة من الشعراء العرب بشعر الهايكو إذ لم يعد الهايكو الياباني حكرا على اليابانيين بل أصبح شكلا شعريا عالميا له رواده وشعراؤه في كل مكان في العالم، ومثلما انتشرت الرواية والمسرحية والقصة القصيرة، كذلك هو الحال مع شعر الهايكو، فبعد انفتاح الثقافة العربية على ثقافة الحضارات الشرقية العريقة كان "للهايكو رواده وشعراؤه في الوطن العربي، فاللغة العربية لغة حية منفتحة على العالم والأدب العالمي وتتقبل كلّ جديد، وبالتأكيد اطّلع القراء العرب على الهايكو الياباني في البداية من خلال ما ترجم منه "إلى اللغات الأوروبية وخاصة الانجليزية وبعد ذلك من خلال الترجمات العربية رغم قلتها، فوجود الهايكو في الشعرية العربية هو إحدى ثمار التواصل الثقافي العربي الياباني الحديث الذي بدأ منذ مطلع القرن الماضي، وتعزّز في أواسط الستينات عبر الرحلات والترجمات والبحوث والدراسات التي تعنى بالعلاقة بين الثقافتين العربية واليابانية.

أخذ الشعراء العرب يخوضون تجربة الهايكو بعدما وصلهم من الترجمات الأوروبية وخاصة الإنجليزية، وقد أخذ بعض الدارسين مثل محمد عضيمة ومحمد الأسعد يعرفون بالهايكو الياباني، فقد "**تمّ على يد عضيمة والأسعد من ناحية الإحاطة الأوسع والتّبحّر العميق ترجمة وبحثا، وشكلت أوّل مرجعية عربية للمعنيين بهذا الفن الشعري، ولعلّ أبرزهم محمد عضيمة لخصوصية تأهيله المعرفي وسيرته الفكرية والأدبية، التي قسم مهمّ منها أنجز وهو يعيش في اليابان، أستاذا لغويا مدرّسا وكذلك منخرطا في خضم المجتمع الياباني عائليا ومهنيا**"[14].

فالهايكو العربي هو حركة شعرية عربية، أو تيار شعري جديد في الشعر العربي الحديث، ظهر بعدما تعدّى شعر الهايكو الحدود اليابانية، وهذا لعمق فلسفته، وكثافته وعمق مشاهده.

فالشعراء العرب وجدوا ذواتهم في هذا الشعر الجميل، فمن الشعراء المتأثرين به نذكر الشاعر الفلسطيني عز الدين لمناصرة، والشاعر الليبي عاشور الطوايبي والسوري محمد عضيمة، ومن الشعراء الجزائريين الأوائل الذين غامروا في شعر الهايكو الشاعر عاشور فني، ثم ظهر شعراء شباب آخرون كسعدية الحلوة والشاعر أحمد ملياني.

5. تجريب الهايكو عند الشاعر عاشور فني:

يعتبر الشاعر الجزائري عاشور فني من أوائل الشعراء الذين خاضوا تجربة الهايكو، فقد صرح أنّه كان يتحرى الهايكو في بداياته الشعرية الأولى، وقد تجلّى الهايكو أكثر في ديوانه الشعري الثاني "**رجل من غبار**" ثم "**الربيع الذي جاء قبل الأوان**" و"**هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي**"، وتقوم التجربة الشعرية في الهايكو عند عاشور فني على اكتشاف ما يعمل في الذات في علاقتها بالكون واستبصار اللحظة الفاصلة التي يلتقي فيها الكوني بالذاتي والأبدي بالآني والمجرّد بالملموس والوعي بالطبيعة، وهذا ما نحاول البحث عنه في بعض من قصائده الشعرية.

1.5 خاصية البناء المشهدي:

كانت من المميزات الفنية التي ميزت شعر عاشور فني، والتي تقوم بجمع صورتين أو فكرتين متناقضتين في قصيدة واحدة؛ يقول الشاعر فني:

أنا لن أدخل الحرب

فالحرب قد دخلت في الخيال

ولا فرق بين انتصار وهزيمة

ولن أدخل السلم

إن كانت الحرب كارثة

فالسلام جريمة

أنا لن أدخل الحرب

أنا لن أدخل السلم[15]

يجمع الشاعر بين مشهدين متضادين هما مشهد الحرب ومشهد السلم، ف"**طبيعة الهايكو تقوم على تركيب مشهدين في القصيدة بطريقة تكون لها دلالة ولا تكون عشوائية**"[16]، يجمع بين واقع الحرب الذي يرفض الولوج فيه فلا تختلف النتيجة بين الفوز والهزيمة، ولا يريد السلام باعتباره جريمة أخرى فيختار الحياد، وكأن الشاعر يسخر من هذا العالم الذي يصبح فيه السلام جريمة أكثر من الحرب، ولهذا يصور لنا من خلال هذا البناء المشهدي أزمة العصر والواقع المعيشي المؤلم وغياب الأمن والاستقرار.

اعتمد في بناء المشهد على ثنائية الصورة المتضادة(**انتصار/ هزيمة) (السلم/ الحرب)**، فعدد كبير من قصائد الهايكو يتأسس على المقابلة بين شيئين متضادين، ومهمة الهايكو هي إبراز هذه العلاقات الخفية بين الصور المتباعدة، فالشاعر يترجم حالته الشعورية وفق دلالات وإيحاءات تستمد كيانها من التضاد، مما يساهم في بناء رؤية شعرية متعددة التأويلات والقراءات.

ويقول الشاعر:

رجل من غبار كان يأتي إلى حيّنا

يزرع الحلم في الشرفات

ويمضي...

في إثره يطلع الجلنار[17]

النص عبارة عن مشهد تصويري لـ" رجل من غبار" الذي كان يأتي كجنية ساحرة تحقق الأحلام وتزرع الآمال في الشرفات، فهذا المقطع يعبر عن مجيء الرجل–الغباري– وحلوله في عالم الشاعر.

ثم سرعان ما يصور لنا الشاعر في المشهد الثاني انصراف ذلك الرجل فيطلع على إثره الجلنار الذي هو "زهر الرمان" والذي هو رمز للأمل في الحياة الجديدة وفي الاستقرار الذي يتمناه الشاعر حتى في حلمه، فقد جمع الشاعر بين حضور الرجل واختفائه في الوقت ذاته، فهو يعتمد على ثنائيات ضدية للتعبير عن أشياء لا وجود لها في الواقع من خلال استحضار الخيال في بناء المشهد الشعري، ولهذا تمكن من تفتيت حالات الحضور والغياب وتشتيتها لتتطاير في الهواء فيعجز القارئ عن إدراك كنه الحضور وجوهر الغياب.

يبين لنا هذا المشهد أن قصيدة الهايكو قابلة لاستيعاب كل الحالات الإنسانية فقد تجمع بين صورة وفكرة، أو صورة وصورة، أو فكرة وصورة، أو فكرة وفكرة، أو صورة وإحساس، أو إحساس وإحساس إلخ، المهم أن تكون هناك ثنائية في التعبير يتم الجمع بينهما في القصيدة.

ويقول الشاعر في قصيدة من ديوان "**الربيع الذي جاء قبل الأوان**":

والربيع الذي مرّ في جملة العابرين

لم يعد أبدا

فكأنما لم يكن أحدا

ربما كان وهما كبيرا

يراودني بين حين وحين

وأنا...

منذ عشرين عاما

أضيع لأكتشف الآخرين[18]

يصوّر الشاعر في هذه القصيدة مشهدين متضادين؛ مشهد الاستقلال الذي استبشر به الجزائريون، لكن سرعان ما مرّ في جملة العابرين فكأنّه لم يكن أبدا، بل هو مجرد وهم وحلم، وفي وسط ذلك المدى الزمني الطويل يصور من خلال مشهد آخر حالته التائهة والضائعة في محاولة منه لاكتشاف العالم الخارجي واستيعاب كل التغيرات التي طرأت عليه.

ويقول أيضا:

الربيع الذي لم يرد وصفه في كتاب

نبحته الكلاب

فتسلل بين الحروف

ودوّن حكمته في التراب:

إنه الموت سدّده القلب للقلب

أما الرصاص فلم يخترق غير سطح الجسد[19]

يربط الشاعر بين مشهدين؛ مشهد الاستقلال الذي لا يمكن وصف الفرحة التي صاحبته، ولكنها فرحة لم يكتب لها أن تستمرّ، ومشهد تلاشي حلم الحرية والاستقلال سريعا لأنه سرعان ما حُورِب من طرف أقرب المقربين وهم أبناء الوطن الذين يبحثون دائما عن فرص توجيه الضربات المباشرة التي تؤدي إلى السقوط، فمشهد الموت يعبر عن موت الروح والضمير والقلب المليء بالأحقاد والضغائن مما يؤدي إلى موت الإنسانية (الوطنية) قبل موت الأجساد وفنائها، لأن الموت يصبح لعبة في يد البشر يوجهها الصديق للصديق، فالمشهدية تتحقق بالربط بين عنصرين والمزج بينهما ليُكوّنا مشهدين متداخلين يؤديان معنى معين، وفكرة معية يريد الكاتب إرسالها بأسلوب وقالب جديد.

2.5 خاصية بساطة الألفاظ:

يختار الشاعر عاشور فني ألفاظا بسيطة لتؤدي معاني مختلفة وخلق دلالات وإيحاءات عديدة وهي من أبرز خصائص شعر الهايكو، يقول:

كان حين يجيء الظلام

وتغيب المدينة في لجة الصمت

يفتح نافذة الحمام

فيغني...

وفي قلبه نجمة لا تنام[20]

يستخدم الشاعر ألفاظا بسيطة (الظلام، المدينة، الصمت، نافذة، الحمام...) ذلك أن لغته مستوحاة من القاموس اليومي وهي تفاصيل من الحالة اليومية والتجربة الحقيقية، فألفاظ القصيدة مستوحاة من القاموس اليومي وهي تفاصيل من الحالة اليومية والتجربة الحقيقية، فالليل لا يطول والظلم الذي يخيم على البلاد لا بد أن ينسحب تاركا مساحة للأمل والغد الجديد، فرغم كل المآسي التي تلف المدينة(البلاد) إلا أن الإيمان بالتغيير هو الذي يسيطر على الجميع.

اعتمد الشاعر على لغة بسيطة ولكنها محملة بدلالات كثيرة، فبساطة اللغة لا تحجب المعنى لأنها تحمل في طياتها معاني وتأويلات كثيرة، كما أنّ بساطة الألفاظ لا تغيّب جمال القصيدة ودلالاتها العميقة، لأنها تشكّل رؤية شعرية تمنح النص الاختلاف والمغامرة من خلال توظيف الكلمات المتناقضة(يجيء/ يغيب)، (الظلام/نجمة)، (الصمت/ يغني)، وهذه السمة تغلب على جل قصائد الشاعر، وتساهم في تشكيل نصوصه وتحقيق شعريتها، سواء في اللغة أو الصورة أو الرؤيا.

3.5 خاصية الدهشة:

تمتاز قصائد الهايكو بتأثيرها على المتلقي وخلق الدهشة والانبهار، لأن الدهشة تضاعف التأثير وتمنح خاصية استيعاب مضاعفة، وهذا ما نجده في قصائد كثيرة للشاعر عاشور فني، يقول:

كان من كثرة النكبات يغني

ويحصي صباباته الضائعة

كان يجمع أحلامه الرائعة

ويبعثرها في الرياح

كان يلبس وجه الصباح

ثم يمضي إلى الفاجعة[21]

يعبّر الشاعر عن مجموعة من النكبات والأحلام، عن السعادة والفاجعة، ما يجعل القصيدة تمثل نسيجا استعاريا مميزا، يحكمه مبدأ التناقض الذي يصنع الدهشة والمفارقة؛ فالنكبة تصنع الغناء والأحلام تُبعثر بعد عناء الحصول عليها، كما أن المرء يمضي بقدميه إلى الهلاك والفناء، إنه انتحار وخروج إرادي من الحياة، وهذا ما يصنع الدهشة لدى القارئ والتي تعتبر صفة أساسية في أي إبداع أصيل طويلا كان أم قصيرا، وفي كل أنواع الأدب وفي شعر الهايكو بصفة خاصة، فالنص الشعري "**عبارة عن مجموعة من مفردات قديمة تلتحم فيما بينها بعلاقات جديدة ومبتكرة، ومن هنا تأتي الغرابة في الشعر**"[22]، وتجعل القارئ يتفاعل مع النص الشعري الذي يثير دهشته مع كل قراءة.

4.5 خاصية استحضار الطبيعة:

يتميز شعر الهايكو باستحضار الطبيعة واللجوء إليها، بل إنه يقوم على استحضار كل عناصرها، فدورة الطبيعة بفصولها الأربع يحاكيها الشاعر يتفاعل مع تغيراتها وتقلباتها، فالهايكو يقدّس الطبيعة ويجعلها مركزا للإنسان ولانبعاث الحياة

وتجددها، فهو هدية من الطبيعة، وقد بني هذا على النظرة اليابانية التي ترى الطبيعة ليست شيئا يواجهه الإنسان، ولكن على الإنسان أن يندمج معها، وأنّ حياته مرتبطة بها تماما، حتى أن الشاعر يصبح جزءا منها أو أن الطبيعة تصبح جزءا من الشاعر، فالشاعر يغوص في تفاصيلها الدقيقة التي لا يكاد يلتفت إليها الآخرون. يقول الشاعر عاشور فني:

مرّ بي حلزون ولم يلتفت إلى جهة

فقلت يا حلزون لم العجلة؟

داس خلق كثير على كبدي

ونمَتْ في تراب يدي بتلة

ثم جاء الندى...

والفراشات...،

والقتله[23]

وظف الشاعر معجما شعريا مستوحى من الطبيعة (حلزون، تراب، الندى، الفراشات)، وهو معجم بسيط ولكنه يصور مشهدا لمأساة شديدة، إذ انتشر الموت والقتل في كل الزوايا حتى لم يعد أحد يهتم بحياة الآخر ولا كرامته. فمشهد الحلزون الذي يمر سريعا ورغم بساطته إلا أنه يصور حالة من الذعر والموت الذي يخشاه الجميع وحتى الحشرات، إن عناصر الطبيعة التي يستخدمها الشاعر ورغم بساطتها إلا أنها تصوّر الواقع في تفاصيله الصغيرة، وتجعل قصائده تتسم بالغموض والعمق في طرح الأفكار وتداخل الدلالات والإيحاءات.

يقول في مقطع آخر من ديوان الربيع الذي جاء قبل الأوان:

والربيع الذي جاء من حيث لم أنتظر

بث خضرته في العاشقين

وعلّق أرواحهم في غصون الشجر[24]

فالشاعر يضفي مظاهر الطبيعة على نصوصه ويعمد إلى استحضارها، والتي تتناسب مع أحاسيسه وعواطفه تجاه الزمن الذي يعيش فيه والذي يسوده الظلم والاستبداد، ولهذا فهو يجد ملاذه في الطبيعة، وإعطاء نصه مجموعة من الدلالات الرمزية، فكلمة الربيع ترمز إلى الاستقلال الذي برز بخضرته للشعب عاشق الحرية، لكن هذه الحرية لم تتحقق بعد الأحداث المؤلمة التي مسّت البلاد وأصبحت أرواح الشعب معلقة تنتظر تحقيق الحلم يوما ما.

يميل الشاعر إلى توظيف الطبيعة ليبين العلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة، فالشاعر كثيرا ما يتخذ من الفصول موضوعا له، فنجده يتحدث عن الزهور ورائحتها والفراشات والثلج والرياح و...، فالطبيعة شكّلت موضوع الهايكو وجوهره، يقول الشاعر عاشور فني مصرحا بذلك: "**تقوم التجربة الشعرية في الهايكو على اكتشاف ما يعتمل في الذات في علاقتها بالكون واستبصار اللحظة الفاصلة التي يلتقي فيها الكوني بالذاتي، والأبدي بالآني، والمجرد بالملموس، والوعي بالطبيعة، تلك لحظة الهايكو**"[25]، فالشاعر مجبر على الانصات للطبيعة والانحلال فيها حتى يفهم ذاته وذوات العالم المحيط به، ويضيف أن "**كثيرا من قصائد الهايكو كانت حول الثلج والماء البارد وسلوكات بسيطة يقوم بها كائنات(...) تأنف منها قصائد الحداثة العربية: كلاب وسحالي وأطفال مشرّدون وأشخاص عاديون**"[26]، فكل شيء يوحي بالانجذاب بين الشاعر والطبيعة التي يرى أنها قدره الذي لا يستطيع الهروب منه، منها ينطلق وإليها يعود، فقد شكلت الطبيعة أحد الشروط الضرورية في شعر الهايكو، وفي شعر عاشور فني.

فالشاعر يصوّر مشاهد طبيعية، وهي مشاهد تتفاعل فيما بينها، فالشاعر ينقل صورة واقعية للطبيعة، ولكنها موغلة في الترميز، لأنها تضمر أكثر ممّا تظهر، فالشاعر يغوص في الطبيعة لأنها تعكس حالته النفسية.

6. خاتمة:

– اعتبر شعر الهايكو في الجزائر تجريبا إبداعيا جديدا حاول مجموعة من الشعراء الخوض فيه، ومن بينهم الشاعر عاشور فني الذي غاص من خلال إبداعاته الشعرية في أعماق النفس الإنسانية، وحاكى آلامها وآمالها، محاولا الاستعانة بمجموعة من الخصائص الفنية للهايكو، وهي التجارب الشعرية التي تميزت بملامح شعرية جديدة ومبتكرة، تقترب أكثر من الواقع واليومي في تفاصيله الكثيرة والمعقدة، بلغة سهلة تحاول أن تكون مرآة عاكسة لكل ذات إنسانية على وجه الأرض.

– اعتبر شعر الهايكو في الجزائر تجريبا إبداعيا جديدا حاول مجموعة من الشعراء الخوض فيه، ومن بينهم الشاعر عاشور فني الذي غاص من خلال إبداعاته الشعرية في أعماق النفس الإنسانية، وحاكى آلامها وآمالها، محاولا الاستعانة بمجموعة من الخصائص الفنية للهايكو، وهي التجارب الشعرية التي تميزت بملامح شعرية جديدة ومبتكرة، تقترب أكثر من الواقع واليومي في تفاصيله الكثيرة والمعقدة، بلغة سهلة تحاول أن تكون مرآة عاكسة لكل ذات إنسانية على وجه الأرض.

– تميزت قصيدة الهايكو عند عاشور فني بالتوحّد والتماهي مع مظاهر الطبيعة المختلفة باختلاف فصولها، يؤكد من خلالها الشاعر ذاته وذات الآخرين، من خلال محاكاة ما تحمله من بعد إنساني.

– تكتنز اللغة الشعرية لدى عاشور فني على طاقات مكثفة ومكتنزة لدلالات عدّة، إذ تتيح مجموعة من القراءات والإيحاءات، وقد تميزت بخصوصيات تتماشى مع الذائقة العربية، وتستجيب لتطلعات الإنسان الجزائري والعربي ولتطلعات كلّ البشر.

– حاولت قصيدة عاشور فني أن تتناسب مع الرؤية الشعرية والذوق الخاص، فحملت قصائده سمات فريدة حاولت التأقلم مع الشعرية والذائقة العربية. وكانت قصيدته الهايكوية تقوم على الإيجاز والبساطة وعلى البناء المشهدي.

7. الهوامش:

[1] ريو بوتوسيا، تاريخ الهايكو الياباني، تر: سعيد بوكرامي، كتاب المجلة العربية.

[2] هنري برونل، أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو، تر: محمد الدنيا، ط1، الكويت، ع353، 2005، ص14.

[3] محمد عضيمة، وكوتا كاريا، كتاب الهايكو الياباني، دار التكوين، دمشق، 2016، ص17.

[4] حمدي حميد الدوري، شعر الهايكو وإمكانياته في اللغات الأخرى، دار الإبداع، بغداد، ط1، 2018، ص7.

[5] آمنة بلعلى، خطاب أنساق الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، دار الانتشار العربي، ط1، لبنان، 2004، ص146.

[6] بشرى البستاني، مجلة رسائل الشعر، ملف الهايكو العربي بين البنية والرؤى، قصائد ودراسات، ع3، تموز 2015، ص51.

[7] آمنة بلعلى، مرجع سابق، ص16.

[8] ريو ريتوسويا، تاريخ الهايكو الياباني، تر: سعيد بوكرامي، كتاب المجلة العربية 175، الرياض، ص9.

[9] حسن الصلهبي، صوت الماء، مختارات لأبرز شعراء الهايكو الياباني، مجلة الفيصل، الرياض، 1437هـ، ص17.

[10] حسن الصلهبي، مرجع سابق، ص15

[11] حمدي حميد الدوري، مرجع سابق، ص16.

[12] لطفي شفيق سعيد، ألف هايكو وهايكو عربي، مؤسسة الفكر والثقافة والإعلام، طبعة 1 إلكترونية، العراق، 2017، ص16.

[13] عبد الوهاب المسيري، قصّة أقصر قصائد شعرية في أدب العالم، مجلة الدوحة، قطر،ع2، فبراير 1984، ص47.

[14] باسم أحمد القاسم، هوامش القراءة العربية وقصيدة الهايكو، جريدة القدس العربي، لندن، المملكة المتحدة، ع8771، 2017/03/22، ص12.

[15] عاشور فني، رجل من غبار، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص66.

[16] جمال الجزيري، مقدمة نقدية في قصيدة الهايكو ، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2012.

[17] عاشور فني، رجل من غبار، ص71.

[18] عاشور فني، الربيع الذي جاء قبل الأوان، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2004، ص8.

[19] المرجع نفسه، ص15.

[20] رجل من غبار، ص29.

[21] رجل من غبار، ص27.

[22] بشير تاوريرت، الشعرية والحداثة، بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، دار رسلان، سوريا، ط1، 2008.

[23]رجل من غبار، ص35.

[24] الربيع الذي جاء قبل الأوان، ص8

[25] عاشور فني، هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي، ص7.

[26] المرجع نفسه، ص19.